قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

حسين مروه

الأدب الذي نريد : منير البعلبكي

يغتبط الأديب العربي التقدمي ، ان يفتتح واحد من اصحاب هذه المجلة، جزءاً من أجزائها ، بمثل هذه الفاتحة الواعية، وهو يضع عينه ويده على حقائق حياتنا العربية ، فيرى ، ويلمس ، ويحس هذه الحقائق غير مصروف عنها بوهم او خيال او غرور ، وغير مخدوع عنها ببارقة من « سراب » الأضاليل، وما اكثر ما يبعثون اليوم في صعيد حياتنا العربية من ألوان الأضاليل ...

ويغتبط الأديب العربي التقدمي كذلك ، ان يكون اصحاب هذه المجلة ، على وعي واستيعاب لهذه الحقائق الواقعة، وان ينظروا الى الأدب من هذا الأفق ، فيروا اليه انه رسالة والتزام ، لا ألهية وتسلية وترف، فاذا هو يعايش الحياة العربية في صعيدها الواقعي ، يتلذّع بآلامها ، ويتنوّر بآمالها ، ثم يحاول ان يبدع من الآلام قوة دافعة وإرادة واعية ، وان يجعل من الآمال صوىً ومعالم تتوضح بها الطريق الى الغاية ، فاذا هذه الآلام وهذه الآمال جميعاً قد استطاع الأدب ان يبني منها حياة جديدة لنفسه ، وحياة جديدة لقومه وشعبه .

وإنا لنأخذ من هذه الفاتحة ، ومن فاتحة سابقة لأحد اصحاب هذه المجلة ، حجةً عليها ، كلما رأينا منها انحرافاً عن هذا « المنهج » ، ونريد ان نقول لها ، كذلك ، انه ليس يعفيها هذا « التخطيط » من ان يتوافق الرأي والسلوك معاً في سيرتها الآتية كلها .

تجارب الديمقراطية العربية : محمد النقاش

يجد القارىء في هذا المقال تناقضاً ظاهراً بين هذه الصورة الصادقة المثيرة التي يرسمها الكاتب الفاضل لآثار المستعمرين الغربيين في حياتنا العربية ، وبين ما يريد ان يعترف لهم به من فضل « الاستعمار » المشتق من « العمران » وما يريد ان يدعونا اليه من الأخذ برؤوس أموالهم في استثمار ممكناتنا الاقتصادية.

فبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين طوال المدة التي تسلموا فيها مقدراتنا لنشر الديمقراطية الصحيحة ، ديمقراطيتهم هم التي يمارسونها في بلادهم ، قد تعاونوا دائماً مع الباشوات ومن في حكم الباشوات ، وخلقوا احياناً طبقة جديدة من الباشوات ، وأقاموا او شجعوا على قيام مظاهر وواجهات للديمقراطية البرلمانية ، فجاءت الدساتير تلغومة دائماً بسلطة ديكتاتورية لرئيس الدولة الذي كان يُفرض فيه الولاء لهم والتعاون مع مندوبيهم السامين .. الخ »

يهمّ « الآداب » ان تعيد القول هنا بانها تطلق لكتّاب هذا الباب الحرية كلها في الادلاء بآرائهم حول مقالات المجلة دون ان يكون في ذلك ايّ تعبير عن رأيها الخاصّ . فعلى الكاتب وحده تبعة مايقول، ولكل قاريء الحقّ في الردّ على الكاتب .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم السبب دائماً في ان ظلّ العرب « وجهاً لوجه مع مشكلات قومية واقتصادية وسياسية » وهم الذين بعد ان اعترفوا باستقلال بعض البلدان العربية وسيادتها « تركوا فيها ، عن طريق معاهدات مفروضة ، أوتاداً أشد وطأة وخطراً من أوتاد جحا، وهذه الاوتاد ، التي من السخف والبطل تشبيهها بالمطارات الاميركية مثلاً على الارض البريطانية ، ليس من اقل آثارها انها تحفر في قلوب المواطنين أخاديد ملأى بذكريات الماضي ، ماضي الاستعمار البغيض ، وهذه الاوتار بالذات، هي التي كانت بمثابة حجر يلقى دائماً في مياه الحياة الداخلية العربية ليعكر صفوها ، ويجعل رواسبها تطفو على السطح ، فيختصم السياسيون ويقتتلون ويصرفون صرفاً عن ترتيب البيت وتجميله » .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين هم الذين سددوا الينا « الضربة التي زعزعت الكيان العربي ،

وهدمت ركناً من أركانه ، ركناً كان يقوم وسط الهيكل هي إسرائيل » .

وبينما يرى الكاتب ان هؤلاء الغربيين المستعمرين ، هم « الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي » .

أقول : بينما يرى الكاتب ذلك كله في هؤلاء الغربيين المستعمرين ، إذا به يرى ان « جانباً من الخير حمله الغربيون الى هذه البلدان المحتلة ، جانباً جعل للاستعمار نصيباً من اسمه الصحيح المشتق من العمران » .

ثم إذا به يقول : « إننا في حاجة إلى كفاءات فنية والى رؤوس أموال من الخارج » محتجاً على ذلك باننا « لا نعيش في هذا العالم على حدة ، فيجب ان نمد أيدينا إلى كل هذا ، وان نفتح صدورنا ، وان نكبت في هذه الصدور كل ما أكنته من حقد وضغينة على الاقوياء الاجانب الذين استثمرونا وعبثوا بنا في الماضي ، فليس من سياسة سليمة تبنى على الاحقاد ، وقد ولى زمن العزلة والانطواء » .

يقول الكاتب هذا، مع انه يعلم حق العلم ان هؤلاء الغربيين المستعمرين الذين صور آثارهم السيئة في حياتنا العربية أصدق تصوير ، فيما سبق من قوله ، إنما كانوا السبب في تأخيرنا ، طوال هذا الزمن ، عن استثمار مواردنا استثماراً صحيحاً ، بصرفهم قوانا المادية والمعنوية الى التفكك الاجتماعي والانحلال الفكري والى الانقسامات الطائفية والاقليمية والعائلية ، فتعطلت أرضنا الخصبة عن الانتاج، وظلت مساحات شاسعة منها مهملة قاحلة ، ثم انهارت صناعاتنا الوطنية التي كانت قائمة ، ولم تقم على انقاضها صناعات حديثة تلائم حاجاتنا ، وتطوّر حياتنا ، وتنسجم مع كنوز أرضنا المذخورة بالمواد الاولية للصناعة .

بلى ، لقد أقام المستعمرون في بلداننا عمراناً ، ولكنه العمران الذي هو مصدر خرابنا وانهيار مجتمعنا . لقد أقاموا القصور الباذخة لحفنة من الامراء والحكام والزعماء الاقطاعيين والماليين ، وخلقوا من هؤلاء طبقة جديدة أطلقوا لشهواتها العنان تمتص عرق الشعب العربي في كل اقطاره ، وتستحلب جهده ودمه وعصبه وبؤسه، مالاً وعقاراً وجاهاً ورفاهاً وبذخاً و « عمراناً » .

وإنه لعجب أن يدعونا الكاتب الفاضل إلى كبت الحقد والضغينة على هؤلاء المستعمرين، وهو الذي صور آثارهم السيئة فينا أصدق تصوير، وهو العارف حق العرفان ان الشعب الذي لا يحقد على مستعمري وطنه ، ومستثمري خيراته ، وناهشي لحمه ، وشاربي دمه وعرقه ، انما هو شعب لايستحق الحياة ،وهو شعب لن يقدر يوماً ان يتحرر ويستقل ويسود نفسه بنفسه ابداً.

وإنه لعجب كذلك ، أن يمزج الكاتب الفاضل بين الحقد والضغينة على المستعمرين ، وبين العزلة والانطواء ، وهو يعلم أوضح العلم أن الحقد والضغينة على المستعمر غير العزلة والانطواء، فنحن نستطيع ان نستغني بالكفاءات الفنية التي عندنا ، وهي كثيرة ، عن الكفاءات الأجنبية التي لا تأتي ، حين تأتينا ، الا لأغراض سياسية استعمارية لا صلة لها بالفن والخبرة قطعاً، ونحن نستطيع ايضاً ان نستغني برؤوس الاموال الوطنية لاستثمار مواردنا ، عن رؤوس الأموال الاجنبية التي لا تدخل حياتنا ، حين تدخل ، الا لابتزاز الارباح الباهظة ، وان هذه الرساميل الاجنبية الرازحة على صدورنا منذ زمن ، اظهر شاهد على ذلك ، فهل اجدتنا اكثر من انها تستولي على مرافق بلادنا الخيرة ، وتستدر خيرها من حيث تعطلها وتسيء اليها وتوجهها الوجهة التي لا تفيد منها البلاد شيئاً ؟

نعم ، نستطيع ان نستغني بكفاءاتنا الفنية ، وبرؤوس اموالنا الوطنية ، ثم نتعامل مع الاجانب أياً كانوا ، دون ما عزلة ولا انطواء ، ونحن محتفظون بالحقد والضغينة على كل اجنبي يقصد الينا باستعمار او استعباد او استثمار ، لكي نستطيع بالحقد والضغينة هذين ان نتحرر من العبوديات ، وان نعيش اسياد ارضنا واسياد انفسنا .

مع المستشرق كراتشكوفسكي : خليل تقي الدين

- هذا حديث فيه كثير من المتعة والفائدة ، ولكن الرأي الذي نقله الينا الاستاذ تقي الدين عن المستشرق كراتشكوفسكي بشأن لحاق اللغة العربية بالمخترعات الحديثة والتعبير عنها ، ليس يخلو من بعض الغلو .

ذلك ان اللغة العربية قادرة على اللحاق بالمخترعات الحديثة والتعبير عنها ، من غير حاجة الى هذه الطريقة التي يراها المستشرق الكريم . أي أن نأخذ الكلمات الاجنبية كما هي في لغتنا الاصلية ، ثم نتركها للاستعمال يصقلها ويهذبها .

فان في صلب لغتنا العربية طاقة قوية ، كامنة في مبادىء الاشتقاق والمجاز والنحت ، مضافاً اليها مبدأ التعريب الذي يعنيه رأي المستشرق كراتشكوفسكي . وهذه المبادىء تمد اللغة العربية بالمرونة والقدرة على التكيف والتطور في كل حين.

ولكن استخدام هذه المبادىء ، لا يغني فيه جهد الافراد، فلا بد من جهود الهيئات تتضافر فيها المعرفة الواسعة والاختصاص

في مختلف فروع العلم ، الى جانب الاطلاع المكين في فقه اللغة ومفرداتها واساليبها التعبيرية والجمالية .

الحبيب الاسمر : شعر أمين نخلة

ليس شيء في هذه القطعة يصور « الحبيب الأسمر »... ولو لم يكن هذا هو العنوان ، ولو لم تكن لفظة « اسمر » في شطر البيت الاول ، لما كان لنا ان نلمح من « سمرة » هذا الحبيب ما نشتهي ان نلمح ...

فليست القطعة — اذن — ذات موضوع ، وهذا بالذات ما انتقدته الشاعرة نازك الملائكة ، في العدد الماضي ، على « الطبيب المستبد » لصلاح لبكي ، وقد احسنت التعبير في نقد هذا المأخذ الشائع في شعرنا القديم ، ومعظم شعرنا الحديث .

ولولا « والهوى اخضر » لكان هذا البيت خفيف القدر جداً في ميزان الشعر :

النهر والجسر ثم موعدنا خلف البساتين والهوى اخضر

اما هذا البيت :

كأنّ في دله ومشيته غصنين جاءا ، وثالثا قصر

فأنك تستحلي جرسه ولفظاته ، ولكنك تطلب منه صورة لذهنك ، فكأنك تقبض الريح ... وهذا شأنك مع الشطر الثاني من هذا البيت :

مصوغة منه مهجتي قطعاً محبوكة بالقوام والمئزر

ويعود بنا الشاعر الأنيق المجدد الى مبالغات المتنبي «العتيقة» في « اغنية الوصل » :

لو يبيت العمر نهر طلا وعبينا ، ما تروّينا !

وهم الخلود : توفيق عواد

صديقنا توفيق عواد زاهد بقيم الحبر والورق ، كافر بحقيقة الخلود ، فما «سر» هذا الزهد ، وما مصدر هذا الكفر ؟

لو قالها غير توفيق عواد ، لقلنا : ليس هذا زهداً ولا كفراً ، ولكنها انطفاءة الشعلة المقدسة : شعلة الفن !

أفهل تكون «لنعمة» الوظيفة يد في «زهدك» و «كفرك» يا أبا ربيع ؟.

الى عينين شماليتين : نزار قباني

ونزار قباني في لندن ، وفي عمل له بسياسة لندن الف سبب ونسب ، ولكنه — سامحه الله — لا يرى هناك إلا « عينين شماليتين » .. ولكن هذا الختام ؟ :

تاهت بعينيها .. وما علمت أني عبدت بعينها وطني

وطنك — يا نزار — يحتاج اليوم الى عبادة .. ولكن عبادة الحرية ، لا عبادة «عين» خضراء ، أو «زرقاء» في لندن !

شعرة : محمد محمود عماد — القاهرة

أهذا شاعر ، ويعيش في القاهرة هذه الايام ، ويلهو بشعرة سقطت على صدره من رأس امرأة ؟

لا ، لن أصدق ، فاذا كان محمد محمود عماد شاعراً — ويظهر أن هذا صحيح — فليس هو من القاهرة ، ولا من مصر ، ولا من اي بلد عربي ، ولعله من المريخ ، او جزر «واق الواق » !

الشرقي الجديد وميراثه القديم — أنيس المقدسي

يعجبني في هذا الأديب الشيخ أنه يعيش زمنه شاباً فتياً ، فهو يتطور مع الزمن ، وهو بهذا التطور يدرك سير الحياة ، ويحس حركة التاريخ ، وتجري مفاهيمه الفكرية طيعة مرنة لا تتجمد ولا تتصلب ، ولا تتكمش .

هكذا هي ، على الأقل ، في هذا المقال المركز التفكير .

معنى القومية العربية : الدكتور عبد العزيز الدوري

من الخير ، كل الخير ، ان يكون باحث مثل الدكتور الدوري ، قد بدأ تفكيره القومي ينظر الى امام أكثر مما يتطلع الى وراء ، ولكنه ما يزال يتطلب حلول مشاكلنا الحاضرة من التاريخ ، وما يزال يبتعد بهذه المشاكل عن أسبابها وعواملها الواقعية الراهنة .. فهو ما يزال يقول :

« ... ووقعنا ، بعد ذلك ، في مشاكل وهزات عنيفة لأننا لم نفهم جذور هذه الأمة ، ولم نهيء الجو الصالح لما اقتبسناه » .

ليست جذور هذه الأمة — يا سيدي — « طلسما » يستعصي حله ، وإنما هي امة كسائر الأمم ، لها تاريخ معروف ، واضح ، مفهوم ، خضع لتيارات وتطورات تاريخية وموجات بشرية : سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية كان لكل منها ، في زمنها ، تأثيرها الخاص ، وطابعها المتميز بتميز ظروفها الزمانية والمكانية والبشرية .

وهذه الأمة نفسها اليوم تقع في مشاكل وهزات معروفة المصادر والموارد .. مصادرها وواردها جميعاً ترجع إلى امر واحد معروف : هو الاستعمار ؛ ولا شيء غير الاستعمار ، فلماذا الابتعاد عن الواقع ، الماثل ، الشاخص كالعملاق ؟

دوّامة الغبار : فدوى طوقان

أما فدوى ، فيبدو انها تصنع « دوامة الغبار » حول ذاتها عن قصد وعمد . ويخيل إلي انها لو عادت الى طبيعتها الشعرية ، لخرجت من « الدوامة » بشاعرية جديدة ، اكثر انطلاقاً ، واوسع افقاً ، ولعلها تستطيع حينذاك ان تعرف الحياة على غير وجهها الكالح الذي تتمثله الآن ..

القنبلة الهيدروجينية : قدري حافظ طوقان

ما لي وللقنبلة الهيدروجينية ، من حيث تركيبها العلمي ؟. ولكن ما بال استاذنا العالم يتساءل ، في مقدمة بحثه هذا ، كما كان يتساءل جماعة الأخلاقيين ، والميتافيزيكيين ، حين كان يروعهم هذا التناقض بين تقدم العلم والحضارة ، وبين اضطراب الانسان في قبضة القلق والكراهية والاقتتال والتدمير ، ما باله يتساءل مثلهم هكذا :

— « ماذا جرى لعقل الانسان » ؟ هل « الانسان قد فقد الملاءمة بينه وبين بيئته » ؟

هكذا كانوا يظنون الأمر .. كانوا يعللون هذا التناقض بان فتوحات العلم جاءت باهرة للانسان ، على حين لم تكن «نفسه» مستعدة لاحتمال هذه الروعة «العقلية» ، ومن هنا اختل التوازن بين عقله ونفسه ، فلم يستطع الملاءمة بين حضارته وبيئته .

كان هذا التعليل ، يوم كان علماء الأخلاق والاجتماع يعيشون على هامش الحياة ، يوم كانت النزعة « الميتافيزيكية » سيدة الموقف في امر تفكيرهم ، يوم كانوا يرون كل جانب في الحياة منفصلاً عن الجانب الآخر لا يتصل معه بحال .

أما اليوم ، فقد دخل العلم والفكر قلب الحياة ، فانكشف سر المعركة .. وظهر ان المسأله ليست مسألة « توازن » او « فقدان توازن » بين العقل والنفس ، ولكنها مسألة صراع بين المصالح الاقتصادية ، صراع بين شهوة الربح وحاجة العيش ، صراع بين الاستعمار وبين الشعوب التي انطلقت تريد التحرر من الاستعمار . هذا « سر » المسألة يا سيدي .

حيال الموت : (أقباس من تراثنا القديم)

لست أدري : اي توافق بين اختيار هذا اللون من التراث ، وبين فاتحة منير البعلبكي التوجيهية ؟ . أليس هذا انحرافاً عن « المنهج » ؟ .

أليس في تراثنا القديم ، خير من هذه الفلسفة البالية للموت والحياة ، هذه « الجرعات » من الافكار المخدرة تملأ النفوس يأساً وقنوطاً واستسلاماً ؟ . أيكفي ان يكون هذا الشعر عذب النغم ، حلو السبك ، وهو « السم » الزعاف أثراً ؟

الرمس القائم : ذو النون ايوب

هذه قصة من جوهر « المنهج » ، أتراها تشفع باختيار « حيال الموت » ؟ .

إني لارى في « ذو النون » ، هذه المرة ، حرارة ذات طاقة هائلة ، ووهج عارم ، فمن اين لك هذا « الجديد » يا صديقي ؟.

مصرع عنكبوت : مصطفى محمود

ها قد بدأ الشاعر الملهم يخرج من « شبكة العنكبوت » فيرى إلى « جراد الفساد ينتشر » .

وأفاعي الحرمان جائعة تتلوى فيطفر الشرر ...

ولكنه ما يزال في اول « الصدمة » ، ومن هنا تراه يلهج « بالنسيان » و « الكفر » ، ومن هنا يخيل اليه ان « عقود الآمال تنتثر » .

وسيصحو من « الصدمة » ، وحينذاك سيرى هؤلاء الذين هم في عينيه الآن « عناكب بشر » قد استحالوا عمالقة ضخاماً يملأون الآفاق ...

فن التصوير والمجتمع : مصطفى فروخ

هذا رجل مجاهد ، فقد ادرك رسالة الفن ، وادرك صلتها بالحياة والناس ، فامتلأت نفسه إيماناً بها ، وعمر فن الحياة ضميره وطنية وحباً وخيراً وصدقا .

المحسنون : حارث طه الراوي

هذه حكاية « المحسنين » حقاً ... لقد صورها حارث — سلمت يده — من أقرب « الاشياء » تناولاً للمصور الشاعر الذي يحيا في مجتمع يكثر فيه « المحسنون » ... بقدر ما يكثر فيه اليتامى الجائعون المشردون !.

واقع الكتاب العربي : بهيج عثمان

... وأراني اجتزت « ظلال على بعلبك » لأننا أطلنا الوقوف اجيالاً كثيرة تحت هذه« الظلال » وعجبت للصديق خليل الهنداوي — وهو الاديب الحي — ان يعود الى « ظلال بعلبك » في هذا الزمان و « القافلة » تسرع بالمسير ...

وأراني أجتاز « الخطى الحائرة » للشاعر التونسي ، محمد عربي صمادح ، لان خطى تونس اليوم ليست حائرة ، فقد عرفت الطريق ، ومشت على اسم الله — ولن تعود ، ولن تقف ، ولن تتحير او تتردد ، فليق الشاعر وحده — اذن — في « الخطى الحائرة » .

ولنقف قليلا مع بهيج عثمان يحدثنا عن « واقع الكتاب العربي » .

هوذا يحدث عن خبرة وتجربة ومعاناة، هوذا يقول للمنخلفين ، والمجدبين و « المقعنسين » :ليس الكتاب العربي في محنة، وانما المحنة في رؤوسكم انتم، وفي نفوسكم انتم يا هؤلاء !

هوذا بهيج يقول لاولئك الذين طالما تجنوا على القارىء العربي انواعاً من التجني :

— إن « ظهور عدد من الكتب التي سبرت الغور ، اكثر مما قاست السطح ، والتي امتدت عمقاً حتى بلغت الجذور اكثر مما ذهبت عرضا — إن ظهور هذه الكتب، بدد ظن القائلين برغبة القراء في السهل القريب المبسط دائما».

ولكن ازمة الكتاب العربي الواقعية،هي ازمة الحرية وحدها، كما ادركها بهيج عثمان بخبرته وتجربته ومعاناته ، وكما نعرفها جميعا ، في محنة الحرية التي نعانيها جميعا ! .

حسين مروه